

القَصص القرآني وتشكلاته قصة يوسف عليه السلام انموذجاً

أ.م.د زينب علي عبيد

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

Zainb.hum2016@gmail.com

ملخص البحث:

إن القص القرآني انماز بتفرده الشكلي والمضموني وتنوعه من حيث المحتوى ذلك لان احداث كل قصة تختلف بطريقة التعاطي عن احداث القصة الاخرى، وان كان هناك تكرار من حيث الموضوع الا ان الشكل بات مختلفاً لان القران خطاب موجه للناس كافة، لذا يستلزم على هذا الخطاب ان ينوع من اساليبه وانتقاء اكثرها فاعلية في التأثير على المتلقي.

ولاشك ان الاسلوب القصصي ماهو الا اكثر الاساليب التي تتعلق بها النفس البشرية ؛ فهو خلاصة لتجارب انسانية سابقة قد تكون مشابهة بشكل او بآخر لتجارب المتلقي اضافة لما يحمله هذا الاسلوب من قدرة تصويرية توسع من افق الخيال. لذا بات هذا الاسلوب اكثر انتشاراً في الخطاب القرآني بوصفه خطاباً يحمل رسالة انسانية موجهة للاخر لاحداث التغيير المرجو منها، يتمثل هذا النمط بشكل اساس بقصة يوسف (عليه السلام) بوصفها تكاد ان تنفرد بخاصية التكامل كقصة مكتملة العناصر من احداث وشخصيات ومكان وزمان ويسيطر اسلوب الحوار والسرد عليها . لذا تقسم البحث على ثلاثة مباحث: الاول : انماط القص في القرآن الكريم. وثانياً: الحدث القرآني واشكالية التلقي وثالثاً: السلطة المكانية واثرها في الشخصية الرئيسية.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآني - الحدث - الشخصية.

ABSTRACT

Abstract The Qur'anic narration of the imam is unique in its formality and content and its diversity in terms of content, because the events of each story differ in the manner of dealing with the events of the other story, although there is a repetition in terms of the subject, but the form is different because the Koran is addressed to all people, so this speech must vary Of its methods and select the most effective in influencing the recipient.

There is no doubt that the method of fiction is only the most related methods of the human soul; it is a summary of previous human experiences may be similar in one way or another to the experiences of the recipient in addition to what this method of imaginative capacity expands the horizon of the imagination. This style is more prevalent in the Qur'anic discourse as a letter carrying a humanitarian message directed at the other to bring about the desired change. This pattern is essentially the story of Joseph (peace be upon him) as almost unique to the feature of integration as a story full of elements of events, personalities, place and time dominated by the style of dialogue and narration on her . So the research is divided into three sections: First: patterns of storytelling in the Holy Quran. And secondly: the Qur'anic event, the question of receiving, and the third: spatial power and its impact on the main character.

Keywords: Quranic Stories - Event - Personal.

أولاً: أنماط القص في القرآن الكريم

القص في الاصل اللغوي هو (تتبع الأثر ، والقصص - بفتح القاف :- رواية الخبر، والخبر المقصود المتتابعة والأثر) (1)، قال تعالى {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَازْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا} (2) والقصص - بكسر القاف - جمع القصة التي تكتب، ومن ذلك أشتق القصص: ولذلك أن يفعل بالشخص مثل فعله الأول .
والقصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب ، اذ قال صاحب الصحاح : ((القصة الأمر والحدث ، وقد اقتصصتُ الحدث رؤيته على وجهه، وقد قص عليه الخبر قصصاً ، والاسم أيضاً القصص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه)) (3).

ويمكننا تقسيم انماط القص في القرآن الكريم على ثلاثة انماط وهي:

-القصة المكتملة وتمثلها سورة يوسف عليه السلام.

-المجموعة القصصية وتمثلها سورة الكهف.

-الاحالات القصصية وتمثلها سورة الفجر.

الا ان النمط الثاني منتشر بشكل كبير في المصحف الشريف لان القرآن الكريم انما هو كتاب توجيه وارشاد وموعظة قال تعالى ((هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين))⁴ لا كتاب متعة ومن دواعي الاموعدة ان تكون السورة معبرة عن قضية واحدة او مجموعة قضايا خاصة بارشاد الناس الى ما هو خير لهم. وكان الاسلوب القصصي المهيم على الخطاب الرباني لان النفس البشرية تميل الى هكذا نوع من الاساليب التي تلخص تجارب انسانية سابقة بما فيها من صبر على البلاء كقصص الانبياء، وتجارب الامم الاخرى التي ابادها الله سبحانه لعصيانها الامر الالاهي .

لذا بات هذا الاسلوب (القصصي) الاسلوب الاثير والمنتشر في المصحف الشريف.

اما القصة المكتملة فتكاد تنفرد بها سورة يوسف عليه السلام من عنوان السورة كعتبة اولى تواجه المتلقي الى بداية السورة كعرض اولى لتهيئة الذهن لهذا النوع الفريد من القصص القراني ((الر تلك آيات الكتاب المبين (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))⁵ لذا فهي سورة ذات هدف وغاية ا و البيان وهي غاية العرب ومبتغاهم، فالقران نزل بلغة العرب والاسلوب انما هو الاسلوب الاثير لدى العرب الا وهو الاسلوب القصصي لياتي بعد ذلك عملية الافصاح عن محتوى السورة ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ))⁶ فوصفت القصة بانها احسن القصص قد تكون لان موضوع السورة انحصر بقصة واحدة او لان القصة تنفرد بخاصية التكامل من عرض وحدث صاعد وذروة وحدث نازل ومن ثم الحل . وهذا ما لم يات مثله في المصحف الشريف لذا آثر البحث رصد أهم اليات والعناصر التي اتكأت عليها القصة فظهرتها بشكل مختلف عن القصص الاخرى .

ثانياً: الحدث القرآني وأشكاله التلقيني

جاء ترتيب الأحداث من خلال إقحام المتلقي مباشرة في الحدث الدال على المستقبل البعيد والقريب، حيث اعتمدت القصة على بداية درامية متأججة تقحم المتلقي مباشرة في الحدث الدال على المستقبل على وفق نظام التبادل الذاتي أو بناء التوقعات (أفق الانتظار) فالرؤيا التي بدأت بها السورة انما تعزز الافتراض الذهني الذي يكونه المتلقي عما سيأتي ذكره، وهي أول ما يبدأ الحدث ليدل على النهاية من جهة، في حين يدل تفسيرها على مجريات الأحداث التي تقوم إليها . فتحوفات يعقوب سرعان ما تحدث لتدهم المتلقي بسلسلة من الأحداث أثمرته عليها ، فمن فتنة غيابه الجب، إلى فتنة الرق وإلى فتنة الإغواء، وإلى فتنة السجن، وإلى فتنة الدنيا ومتطلبات العدل بين الناس فيها، وهي أحداث يأخذ بعضها برقاب بعض، وتشكل - إذاً- الحركة الأولى (بداية السرد) بثورة رؤيوية انفعالية، تستمر عبر القصة حتى ظهور اللحظة الجديدة ، وهو ما يمكن تسميته بالإفراج وجمع الشمل.

وقد تمثلت ذروة الحدث في تسلّم يوسف لدفة الحكم (7) وقيامه بالأمر على خير ما يكون، وبذلك تنتهي ابتلاءات يوسف والأمة، وتبدأ معاناة الإخوة ، نتيجة أفعالهم في المنتصف تقريباً ، قال تعالى: {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} (8).

وبعد ما عرف يوسف (ع) أخوته وهم له منكرون، قال : إني أنكر شأنكم! قالوا: نحن قوم من ارض الشام، قال : فما شأنكم (9)؟ قالوا : جئنا نمتاز طعاماً، فيوسف عرفهم لكنهم لم يعرفوه ، فبدأ منحى الأحداث في الهبوط الى النهاية عندما حاول يوسف استنقاذ أخيه أولاً من طغيان أخوته، وتأكد من تغير أخوته نحو الأفضل، اتجه بعدها إلى لحظة التنوير والكشف ، عندما بين لهم هويته وذكرهم بما فعلوه به، منطلقاً إلى نهاية مغلقة وسعيدة وتم فيها اللقاء بعد الفراق والتوبة والتسامح. لذا فان السورة اتكأت على إنتقائية الاحداث بحذف ما ليس له علاقة وإيجاز ما يتطلب الاختصار قليلاً من دون الاخلال بترتيب الاحداث. قال تعالى {فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي} (10) فيجعل رد والده عليهم يأتي فوراً على الرغم من المسافة الشاسعة التي قطعوها من اجل ان يحملوا رسالته إلى أبيهم ، وكان الرد واضحاً لا يحتاج إلى مقدمات {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ جَمِيلٌ} (11)، فنلاحظ إن الأمر لا يحتاج إلى مقدمات وكأن المقدمات تم الاكتفاء بها في حدث يوسف العظيم.

اذ ان القصة لم تعتمد نمطاً ثابتاً، بشكل ربما قد يحدث الملل، فقد اعتمد على تقانة التكرار أو التوتير في نقل أحداث أخرى، في تنوع مدهش وفي انتقال موحٍ بمعان كثيرة، تهدف إليها، اذ يلحظ المتلقي ان الساقى قد كرر لرؤيا الملك القريبة على مسامع يوسف (ع) لاهمية هذه الرؤيا الاستباقية في ما سيؤول عليها مصير الدولة من جهة ومصير الشخصية المحورية (يوسف) عليه السلام .

قال تعالى {سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ خَضَرٍ وَأَخْرَجَ يَابِسَاتٍ} (12) ويمكن ملاحظة تقانة تسقيط الحدث في أكثر من موضع في القصة ، تلك التقانة التي تعتمد على التشويق ، وعلى المفاجأة بين لحظة وأخرى ، من ذلك أن القصة لم تُعرف في البداية بالرجل الذي اشترى يوسف (ع) فقالت عنه {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ...} (13) ولم يعرف به وبزوجته حتى كانت الفضيحة المرادة ، فجاء التعريف بهما مفاجئاً ، وموحياً بأمر عدة منها مدى بطولة يوسف (ع) ، ومدى صعوبة الموقف الذي وجد نفسه فيه ، فضلاً عن كون الحدث فضيحة ، لكونه عند العزيز فضيحة اكبر (14) ، والقصة لم تبلغ المتلقي عن قدرة يوسف (ع) الفعلية لا الرؤيوية على تأويل الأحاديث والتنبؤ بالغييب وبدء

ظهور تلك القدرة على ارض الواقع إلا عند اللزوم ، لما لجأ اليه زميلاه في السجن {قَالَ لَا يَا تَيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا دَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي } (15).

ويلتقي ذلك في اعتماد القصة على ذكر الأحداث السلفية من دون إدخالها ضمن مجريات تطور الحدث الحالي، المبتدئ من رؤيا يوسف (ع) من ذلك قول أخوته {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ } (16) ، إذ أشار الإخوة بذلك إلى معاملة أبويه سابقاً لم نجدتها ضمن الأحداث بل إن تلك المعاملة وأثارها ممتدة ، كما يبدو من كلامهم على مدار الزمن السابق الذي سبق بدء القصة فعلاً ، ومن ذلك أيضاً حديث إخوته عن سرقة يوسف (ع) المدعاة، فهي تشير إلى زمن سابق على أحداث القصة ، بغض النظر عن آلية تفسير الحدث الذي يشيرون إليه ومدى صدق رؤيتهم له : { قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَحُّ لَهُ مِنْ قَبْلُ... } (17) فالقصة وإن كانت تنقل حادثة من زمن ماضٍ إلا أنها صيغت بأسلوب وظفت فيه كل أدواتها توظيفاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن المستمر؛ لان القرآن الكريم كتاب هداية للإنسانية جميعاً في كل العصور .

لذا فإن هذه الدراسة وإن تعلقت بموضوع يكاد يختلف عن الدراسات السابقة إلا أنها اعتمدت على دراسات تخص الزمن وإفادة منها منهجاً ومضموناً مثل الزمن في القرآن الكريم والزمن في النحو العربي ، ففي قصة يوسف (ع) قوله تعالى { الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ... } (18) (الآن) ظرف زمان حاضر ثبت فيه الحدث ففي قصة يوسف (ع) جاء ((التعبير بالماضي مع انه لم يثبت إلا من إقرارها الذي لم يسبق ، لأنه قريب الوقوع فهو لتقريب زمن الحال من الماضي(19).

وعليه فإن- الآن - ظرف ملامسة بين الماضي والحاضر، أي إن الحدث قد بدء في لحظات ملامسة جداً للحاضر وظهر واستقر فيه، أو إن الماضي المزعم هو زمن نفسي (ويجوز أن يكون المراد ثبوت الحق بقول النسوة فيكون الماضي على حقيقته ، وتقدم الزمان للدلالة على الاختصاص أي الآن لا قبله . للدلالة على أن قبل ذلك الزمان كان زمناً باطلاً وهو تهمة يوسف (ع)(20)

هناك مصاحبات لغوية وقرائن سياقية تسهم في الدلالة على زمن الاستقبال، كما في قصة يوسف (ع) في قوله تعالى{... قَالَ لَا يَا تَيْكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ } (21)، حيث دل هذا التقابل بين الفعلين: (يأتيتكما نبتكما) على تكرار زمن الحدث في المستقبل، أي انه عليه السلام (ينبئهما بما يجعل لهما من الطعام قبل أن يأتيهما ويصفه لهما(22).

اذ جاء الفعل الماضي -نبتكما -دالاً على زمن الاستقبال وأفاد قدرة ثابتة ليوسف (عليه السلام) بما منحه الله تعالى من العلم والمقدرة على تأويل الأحاديث والتعبير بهذه الصيغة دليل على صحة دعواه في هذه المعجزة التي يحملها في تبليغ رسالته لان (فَعَلَ) تدل على حتمية وقوع الحدث وتأكيده .

ويمكن تلمس في بعض الآيات دلالة زمنية يكون حرف التعدية قرينة دالة عليها ففي قصة يوسف (ع) في قوله تعالى { قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (23)، فزمن (مُنِعَ) كما يفهم من السياق هو المستقبل، فهم قد اكتالوا وجاءوا الى أبيهم إلا أن مُنِعَ منا الكيل إشارة إلى قول يوسف (ع)، قال: فإذا لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي، فيكون (مُنِعَ) يراد به المستقبل(24)، فالمنع سيقع في المستقبل، لأنه تهديد من يوسف (ع) لهم أي انه حال بينهم وبين الكيل في المستقبل ودل على ذلك رجوعهم بالجهاز (الطعام).

أما حرف التعدية فقد كان له أثر في تحديد زمن المستقبل ، فالفعل (مُنِعَ) يتعدى بالحرفين (على ، من) (ولأن تركيب " مُنِعَ منا " يؤذن بذلك، إذ جعلوا الكيل ممنوع الابتداء منهم لأن (من) حرف ابتداء (25).

و يدل الفعل (قال) الماضي على التعجب الذي يخالطه التشهير بالحادثة عند اقترانه بالفعل المضارع (تراود) المستمر قال تعالى { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ } (26) فهي تأكيد للحدث والتعجب منه، و حال النسوة في إشاعة الخبر وإعطاءه صورة أشمل فالمرودة في نظرهن لم تكن لمرة واحدة ، فبعد ان رفع حاجز الخفاء فهي مستمرة وفي هذا الاتهام إنها لا زالت (تراود) و التعجب من هذا الحدث لأن سياق القصة يشير الى فارق طبقي بينها وبينه - أي في نظرهن - .

حيث تنبه إلى ذلك أبو حيان الذي أشار إلى أنها تخلصه للاستقبال في حالة عدم وجود قرائن لفظية ومعنوية (27). وللقراءة القرآنية أثر في الدلالة على الزمن، وكذلك الوقف والابتداء لاختلاف التعليق بين أجزاء التركيب وهذا بدوره يحدث اتجاهاً زمنياً جديداً ، ففي قصة يوسف (ع) في قوله تعالى : {قَالَ لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} (28)، حيث أورد الزمخشري ثلاثة احتمالات لتعلق (اليوم) بما قبلها ، وهي :

1- التثريب (لا تثريب) .

2- اما بالمقدر في عليكم .

3- او يغفر .

فالاتصال الثالث يظهر أن زمن (يغفر) هو زمن الحال. بشارة يعاجل غفران الله (29) ، أما أبو حيان والطبري فقد انتشار الوقف على (اليوم) (30) ، وعليه فان (يغفر) يدل على زمن من الاستقبال بمعنى الدعاء.

ان اشكالية تلقي النص القصصي القرآني تتحدد في محورين الاول هو تعددية الزمن والثاني تاجيل هذا الزمن وفق خاصية افق الانتظار اي انتظار تحقق الفعل لذا فالمتلقي بانتظار تحقق الفعل منذ بداية القصة

ثالثاً: السلطة المكانية واثرها على الشخصية الرئيسية:

منح الاطار المكاني قصة يوسف (عليه السلام) ابعاداً سلطوية على المتلقي بما يملكه المكان من اثر قوي ومشارك في سير الاحداث، فقد بدأت احداث القصة الاولى في البادية وما فيها من معاناة وشظف العيش واحداث القصة الثانية في المدينة.

فقد كان يوسف (ع) يحظى بحب كبير من ابيه يعقوب (ع) ، وقد لاحظ اخوته مكانة يوسف عند ابيه ، فجعلت الغيرة تعتصر قلوبهم ، والحسد يكشر عن أنيابه لآخذ المكان الفرعي دوره في سير الاحداث، إذ واجمع الاخوة امرهم على ان يأخذوا يوسف (ع) ويلقوه في بئر عميق ، ليطفنوا نار الغيرة التي تشتعل في قلوبهم .(31) وبعد أخذٍ وعدٍ مع والدهم ، وافق الوالد على ارسال يوسف (ع) مع أخوته لقضاء بعض الوقت في اللعب واللهو وبالفعل خرج الاخوة ب يوسف (ع) الى مكان بعيد ، وقد عقدوا العزم على تنفيذ خطتهم ((فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا الى البرية اظهروا له العداوة وجعل اخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحيماً فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بأبتك بنو الإماء ! (32)، ثم وصلوا الى مكان فيه بئر عميق فالتقوا فيه اخاهم من غير شفقة ولا رحمة ، { فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (33) ، فنزل عليه جبريل(عليه السلام) ليطمئنه بأن هذا امتحان الله وابتلاؤه لأنبيائه ، وإن بعد هذا الضيق فرجاً ، وأنك يا يوسف بعدَ هذا الفرج ستخبرهم بأمرهم هذا ، وخبرهم هذا وفعلهم هذا ،وهم لا يشعرون (34) لياخذ البئر دوراً انتقالي في سير الاحداث بوصفه مكاناً معادياً اول الامر، الا انه سرعان ما يتحول الى مكان ينقل الشخصية الرئيسية من عهد الطفولة الى عهد النبوة والنضج .لتسير الاحداث بعودة الأخوة ادراجهم {وَجَاؤُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ} بعدَ المغرب جاء في الظلام حتى تكون ادوات الجريمة متخفيه وغير واضحة وغير ظاهرة وهم { يَبْكُونَ } بكاء الكذب، وليس بكاء الصدق، ومن المعروف ان بكاء الكذب لا يقضى به، ودعوا أن ذنباً ضارياً شارداً هاجم أخاهم على حين غفلة منهم فأكله! وما أن سمع يعقوب بالقصة حتى شعرَ إن ثمةَ أمراً قد دُبِّرَ ولكن ماذا عساه ان يفعل، والادلة بين يديه لا تقوى على ادانته مرتكب الجريمة، فلم امره الى الله ، طالبا منه الصبر على هذا المصاب الجلل (35).

ثم ينتقل المشهد القرآني ليخبرنا عن يوسف (ع) وقد اصبح في اسفل البئر وبينما هو على هذه الحالة فاذا بقافلة تلوح لنا في الافق ، فما أجملهُ من تصوير للقافلة وهي تدنوا من البئر مما يثلج الصدور بعد لحظة الكرب(36)، قاصدة الاستراحة والتزود بالماء والطعام ، وما ان يلقي بعض رجال القافلة حبل السقاية في البئر طلبا للماء، حتى يتبين لهم ان ثمةَ غلاماً في البئر ، فيفرح بذلك فرحاً شديداً، ويخبر رفاقه بهذه البضاعة التي كسبها من غير تقدير ولا تدبير، ثم ان تجار القافلة يستقر رأبهم على بيع ما وجدوه ،ومن ثم يعرضونه للبيع لبعض المارة، فيشتريه بثمن زهيد او يبدو ان الذي اشتراه كان صاحب جاه ومنصب ومكانة ، وكان قبل ذلك صاحب توفيق! اذ أن شراءه لهذا الغلام سوف يجلب له الخير في قابل الأيام .(2)

انتهت المحنة الاولى في حياة هذا النبي الكريم، حيثُ تبدأ المحنة الثانية من حياته، ثم يكشف الله تعالى مضمون القصة البعيد في بدايتها {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (37)، فلقد انطبقت جدران العبودية على يوسف(ع) القَيِّ في البئر، أهين، حُرِمَ من أبيه، التقط من البئر، صارَ عبداً يباع في الأسواق ،

بعد الاعلان عن براءة يوسف (ع) وخروجه من السجن ، قال للملك {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (48) فكان له ما اراد فعلى هذه اشارة للاستعلاء والسيطرة على خزائن الارض ليكون المركز والبؤرة التي تتجمع حولها الاحداث السابقة واللاحقة . قال تعالى {وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ} (49) ، لتعود الاحداث السابقة لكن في مكان اخر اليف .

حيث نرى ان قضية (الاخفاء والإبانة) وراثها بيان في نهاية الامر حيث يكشف يوسف (ع) عن شخصيته {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} ، {قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا} (50) ليحدث التغير المكاني اثرأ مباشراً في سير الاحداث ويصبح الحدث النازل موصولاً الى الحل ومن ثم تتحقق الرؤيا الاستباقية التي بدأت بها القصة لتنتهي قصة يوسف (ع) بسجود أبويه واخوته له، تأويلا لرؤياه التي جاءت في بداية القصة، فالرؤيا التي بدأت رمزا واشارة ودلالة وهي امور خفيه غامضة تعتمد الايحاء ، هاهي الان تتكشف وتظهر لا تأويلا لفضياً مثلما فعل سيدنا يعقوب (ع) اول القصة وانما فعل حقيقياً وواقعياً ملموساً ، ليقول يوسف (ع) في نهاية الامر {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} (51) .

ان الاحداث كلها في قصة يوسف (ع) تقوم على مبدأ الاظهار والأبانة ومن هنا تتبين الغاية البلاغية من استهلال السورة بقوله تعالى {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} (52) اذ جاء وصف القرآني بالمبين مؤشرا دلاليا على الخط الذي تقوم عليه الاحداث في البناء القصصي لسورة يوسف (ع).

فجمالية المكان في قصة يوسف (ع) تشكل عالماً من المحسوسات قد تطابق مع عالم الواقع في صور ولوحات يتخيلها المتلقي ،فإن الانتقال من (53) مكان الى اخر في قصة يوسف (ع) من حضن والده ثم كيد اخوته له ورميه في البئر، ثم بيعه بثمن زهيد، وقد قيل ((انهم باعوه بأربعين درهماً ، وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهماً))(54) ، ثم سجن بعد الارتكاب عليه، فهذا كله يصاحبه تحول في الشخصية فهي مراحل موظفة لتمارس سلطة على الشخصية قادت في نهاية الامر الى احداث تحول ملحوظ في الشخصية ، فمن هنا نرى إن المكان يظهر من خلال الاشياء التي تشغل الفراغ او الحيز وكيفية وصف تلك الاشياء التي تشير الى المكان .

الخاتمة

اهم النتائج التي يلخصها البحث هي :

- 1- تنقسم انماط القص في القرآن الكريم على ثلاثة انماط وهي:
 - القصة المكتملة وتمثلها سورة يوسف عليه السلام.
 - المجموعة القصصية وتمثلها سورة الكهف.
 - الاحالات القصصية وتمثلها سورة الفجر.
- 2- ينتشر النمط الثاني بشكل كبير في المصحف الشريف لان القرآن الكريم انما هو كتاب توجيه وارشاد وموعظة قال تعالى ((هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين))⁵⁵ لا كتاب متعة ومن دواعي الموعظة ان تكون السورة معبرة عن قضية واحدة او مجموعة قضايا خاصة بارشاد الناس الى ما هو خير لهم. وكان الاسلوب القصصي المهيمن على الخطاب الرباني لان النفس البشرية تميل الى هكذا نوع من الاساليب التي تلخص تجارب انسانية سابقة بما فيها من صبر على البلاء كقصص الانبياء ، وتجارب الامم الاخرى التي ابادها الله سبحانه لعصيانها الامر الالهي .
- 3- ترتيب الأحداث من خلال إقحام المتلقي مباشرة في الحدث الدال على المستقبل البعيد والقريب ، إذ اعتمدت القصة بداية درامية متأججة تقحم المتلقي مباشرة في الحدث الدال على المستقبل . وفق نظام التبادل الذاتي او بناء التوقعات (افق الانتظار) فالرؤيا التي بدأت بها السورة انما تعزز الافتراض الذهني الذي يكونه المتلقي عما سيأتي ذكره، وهي أول ما يبدأ الحدث ليدل على النهاية من جهة، في حين يدل تفسيرها على مجريات الأحداث التي تقوم إليها . فتخوفات يعقوب سرعان ما تحدث لتدهم المتلقي بسلسلة من الأحداث ألمرتبه عليها ، فمن فتنة غيابة الجب ، إلى فتنة الرق والى فتنة الإغواء ، والى فتنة السجن ، والى فتنة الدنيا ومتطلبات العدل بين الناس فيها ، وهي أحداث يأخذُ بعضها برقابُ بعض ، وتشكل - إنن- الحركة الأولى (بداية السرد) بثورة رؤيويه انفعالية ، تستمر عبر القصة حتى ظهور اللحظة الجديدة ، وهو ما يمكن تسميته بالإفراج وجمع الشمل.
- 4- اعتماد القصة على ذكر الأحداث السلفية دون إدخالها ضمن مجريات تطور الحدث الحالي ، المبتدئ من رؤيا يوسف (ع) من ذلك قول أخوته {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} (56) ، حيث أشار الإخوة بذلك إلى إليه معاملة أبوية سابقاً لم نجدها ضمن الأحداث بل ان تلك المعاملة وآثارها ممتدة ، كما يبدو من كلامهم على مدار الزمن السابق الذي سبق بدء القصة فعلاً ، ومن ذلك أيضاً حديث إخوته عن سرقة يوسف (ع) المدعاة ، فهي تشير إلى زمن سابق على أحداث القصة ، بغض النظر عن آلية تفسير الحدث الذي يشيرون إليه ومدى صدق رؤيتهم له : { قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ ... } (57) فالقصة وان كانت تنقل حادثة من زمن ماض، إلا أنها صيغت بأسلوب وظفت فيه كل أدواتها توظيفاً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن المستمر ، لأن القرآن الكريم كتاب هداية للإنسانية جميعاً في كل العصور .
- 5- إن اشكالية تلقي النص القصصي القرآني تتحدد في محورين الاول؛ هو تعددية الزمن والثاني تأجيل هذا الزمن وفق خاصية افق الانتظار اي انتظار تحقق الفعل . لذا فالمتلقي بانتظار تحقق الفعل منذ بداية القصة.
- 6- منح الاطار المكاني قصة يوسف (عليه السلام) ابعاداً سلطوية على المتلقي بما يملكه المكان من اثر قوي ومشارك في سير الاحداث، فقد بدأت احداث القصة الاولى في البادية وما فيها من معاناة وشطف العيش واحداث القصة الثانية في المدينة.

7- وجاءت معالم المكان في المدينة تباعاً، ضمن سياق السرد ، او مفردات الحوار حيث رأينا الأبواب المتعددة للمدينة ، ووجدنا الابواب المتعددة في القصور وبدأت تظهر مفردات العيش اللين والناعم والمستوى المدني الذي تنتمي اليه شخصيات القصة .

وظهرت الحياة المدنية من خلال القوافل التجارية التي تتجه الى مصر ووجود النقود ضمن النظام المالي والاقتصادي المتعامل فيه حينذاك ، واستعمال الموازين والمعايير ، فضلاً عن وجود المحاسبة والعقاب ، وظهر السجن بشكل واضح في حالة الساقى والخباز وسيدنا يوسف (ع) وقد ظهر نظام العقاب بالإعدام صلباً في تلك الفترة سواءً على لسان يوسف (ع) في تعبير الرؤيا ام على صعيد الواقع .

8- أن زمن القصة يظهر لنا من خلال انتظام المادة الحكائية فدخل يوسف السجن (تغيباً واخفاءً) ثم خروجه منه (إظهار وابانه) لكن يوسف لم يكن ليرضى ان يخرج من السجن ومازال في قضية امرأة العزيز والنسوة اللواتي قطعن ايديهن لبس او غموض ، فطلب ان يعاد النظر في الامر حتى يعلن ما كان خافياً ، ويظهر ما كان مستوراً . فهو اصرار وتأكيد على ان السجن وان كان قيد وسلطة الا انه عملية الانتقال المكاني من السجن الى خارجة عملية مشروطة . كي تمارس الشخصية دوراً فاعلاً وسلطة على المكان بعد ان مارس سطوته عليه طيلة سني حياته السابقة فلما سئلت النسوة عن الامر { قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ } (58)،وأما امرأة العزيز فقد قالت {الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } لتاتي مرحلة الخروج من السجن مقرونة بالعز والتمكن والقوة

9- فجمالية المكان في قصة يوسف (ع) تشكل عالماً من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع في صور ولوحات يتخيلها المتلقي ،فأن الانتقال من مكان الى اخر في قصة يوسف (ع) من حضن والده ثم كيد اخوته له ورميه في البئر ثم بيعه بثمان زهيد ، وقد قيل ((انهم باعوه بأربعين درهماً ، وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهماً ، ثم سجن بعد الارتكاب عليه، فهذا كله يصاحبه تحول في الشخصية فهي مراحل موظفة لتمارس سلطة على الشخصية قادت في نهاية الامر الى احداث تحول ملحوظ في الشخصية ، فمن هنا نرى إن المكان يظهر من خلال الاشياء التي تشغل الفراغ او الحيز وكيفية وصف تلك الاشياء التي تشير الى المكان .

الهوامش:

1. منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات، احمد عبد القادر حسن قطناني ، تحقيق: محسن سميح الخالدي ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين ، 2011م .
2. سورة الكهف : 64
3. مختار الصحاح : للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ، ط5 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ص . ب 7876 ، بيروت ، لبنان ، ص 469.
4. آل عمران/ 138.
5. يوسف/1-2.
6. يوسف/3.
7. ينظر : تفسير سورة يوسف (ع) ، السيد الإمام محمد رشيد رضا، صاحب المنارة مكتبة الوفاء ، دار المنار ، 1865- 1953 ، ص56.
8. يوسف : 58
9. ينظر : تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، أبي جعفر محمد بن حديد الطبري ، ج1، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون. ص210.
10. يوسف : 80
11. يوسف : 83
12. يوسف :43
13. يوسف :21
14. ينظر : تفسير سورة يوسف : 30
15. يوسف :37
16. يوسف :11
17. يوسف :77
18. يوسف :51
19. تفسير التحرير والتتوير ، للأمام الشيخ الطاهر بن عاشور . الدار الوطنية للنشر والتوزيع تونس ، ج2، 1396هـ ، 1976م ، ص251.
20. م . ن .
21. يوسف :37
22. تفسير النهر الماد من البحر المحيط ، تأليف أبي حيان الأندلسي ، تحقيق هديان الغناوي ، دار الجنان ، بيروت ، ج1987، ص 123 .
23. يوسف :63
24. ينظر النهر الماد : ج2/134.
25. ينظر : التحرير والتتوير : ج13/15.
26. يوسف :30.
27. ينظر : نتائج التحصيل :9

28. يوسف: 92.
29. ينظر : الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، ط1 ، دار الفكر ، 1397هـ - 1977م ، ج2 ، 503. وينظر : النهر الماد ، 2 ، 148 .
30. ينظر : تفسير الطبري ، محمد بن جرير الطبري ، دار المعارف ، 63 / 56.
31. ينظر : الكشاف 2/ 503 ، وينظر : النهر الماد 2/ 148 .
32. تاريخ الطبري ، ج1 ، ص202 .
33. يوسف : 15 .
34. ينظر : عبرٌ ودلالات من سورة يوسف (ع) ، د. عبد الله بن علي جعفر ، ط1 ، دار نور المكتبات ، 1426هـ 2005 م .
35. ينظر : ذخيرة علوم النفس ، كمال دسوقي ، لقاهاة، دارة النهضة العربية ، 1977 ، 1/ص165.
36. جمالية القصة القرآنية - قصة سيدنا يوسف (ع) انموذجا ، د. بان حميد فرحان ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات - قسم علوم القرآن ، ص340.
37. يوسف: 21 .
38. ينظر الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني ، سورة يوسف انموذجا ، امانة عشاب ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، 2006-2007 ، ص75.
39. ينظر : ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد: د. محمود جاسم محمد الدرويش ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، 1990 م ، ص54 .
40. يوسف / 22.
41. ينظر : عبر ودلالات من سورة يوسف (ع) : ص18.
42. قال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (203/1): وقد اختلفوا في مدة العمر الذي هو بلوغ الاشد ، فقال زيد بن اسلم والشعبي : هو اللحم : وقال سعيد بن جبير : ثمانى عشر سنة ويشهد له قوله تعالى (إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً).
43. يوسف : 23 .
44. ينظر : عبر ودلالات من سورة يوسف (ع) : 31 .
45. يوسف : 36 .
46. ينظر : تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط4 ، بيروت لبنان ، 2005 ، 89.
47. يوسف : 51 .
48. يوسف : 55 .
49. يوسف : 58 .
50. يوسف : 90 .
51. يوسف : 100 .

52. يوسف :1
53. ينظر : بناء الرواية ، سيدا قاسم ، دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ، ط1 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ،1985، ص102-10. .
54. تاريخ الطبري ، ص202 .
55. آل عمران/ 138.
56. يوسف :11
57. يوسف :77
58. يوسف : 51 .

المصادر:

- القرآن الكريم
- ابن خالويه، وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصوده ابن دريد ، د. محمود جاسم محمد الدرويش ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1990م.
- بناء الرواية ، سيزا قاسم ، دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ ، ط1 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، 1985م.
- تفسير سورة يوسف (ع)، الإمام محمد رشيد رضا ، صاحب المنار ، مكتبة الوفاء ، دار المنار 1865 هـ - 1935م.
- تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج1، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون
- تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط4 ، بيروت ، لبنان، 2005 .
- تفسير التحرير والتنوير ، للأمام الشيخ الطاهر بن عاشور ، الدار الوطنية للنشر والتوزيع ، توني ، 1396 هـ - 1976م.
- تفسير النهر الماد من البحر المحيط ، تأليف أبي حيان الأندلسي ، تحقيق هديان الغناوي ، دار الجنان - بيروت .
-
- جمالية القصة القرآنية ، قصة سيدنا يوسف (ع) انموذجاً ، د. بان حميد فرحان ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، قسم علوم القرآن .
- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني ، سورة يوسف انموذجاً أمانة عشاب ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، 2006 - 2007م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري (ت 538هـ) ، ط1 ، دار الفكر ، ج2 ، 1397 هـ ، 1977م.
- كمال دسوقي علوم النفي ، مج 1 ، القاهرة ، دار النهضة العربية 1977.
- منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات ، احمد عبد القادر حسن قطناني ، تحقيق: محسن سميح الخالدي ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ، فلسطين ، 2011 م.
- مختار الصحاح ، للأمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط5 ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ص. ب 7876 بيروت ، لبنان ، (د.ت).
- نتائج التحصيل في شرح التسهيل ، محمد بن محمد بن أبي بكر المرابطي ، تحقيق: مصطفى صادق العري، جامعة قاريونس، ج1، (د. ت).
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف (ع) ، حسن محمد باجودة ، تحقيق : منى منير سرحان ، نشر ، محمد إبراهيم هاشم السيد .

